محمد إبراهيم خاطر
كاتب ومدرب

# لماذا تنامى العنف وغاب التراحم؟!

مظاهر العنف بشتى أنواعه باتت ظاهرة للعيان، وطال العنف جميع مناحي الحياة، وتراجع التراحم، وغابت الرحمة إلى حد أننا أصبحنا نحتفي ببعض المظاهر الخادعة للرحمة كالرفق بالحيوانات وصغارها، ونغض الطرف عن إبادة مئات الآلاف من الأبرياء.

والتدليل على انتشار العنف في المجتمعات المعاصرة لا يحتاج إلى كثير عناء، فمظاهر العنف نجدها في فضاءات عديدة، ولعل من أهمها وأخطرها مظاهر العنف الأسري، الذي يشمل العنف اللفظي والجسدي بين الزوجين نتيجة التركيز على الحقوق والواجبات وغياب المودة والرحمة، والعنف ضد الأولاد والآثار السلبية التي يتركها على نفوسهم ويغذي بداخلهم النزعة العدوانية والميل إلى العنف في التعامل مع الآخرين، والآثار السلبية لهذا النوع من العنف تظهر في التصرفات والسلوكيات العدوانية بين الإخوة والأخوات في البيت نتيجة القسوة في المعاملة والتفرقة بين الأولاد.

ومظاهر العنف نجدها في الشارع في بعض الدول من خلال المعارك اليومية والصراع على المرور وعدم التقيد بقوانين المرور وآدابه، وفي الأفعال المتهورة التي قد تصدر من بعض السائقين تجاه مستخدمي الطريق، سواء من قائدي المركبات أو من المشاة، وعدم تقدير ذوي الاحتياجات الخاصة أو مساعدتهم.

ونجدها كذلك في العمل، حيث التسلط وفرض الرأي، وعدم التماس الأعذار للآخرين وتحميلهم المسؤولية كاملة، والتعامل مع المراجعين بفظاظة وغلظة.

وتوجد أيضا في المدارس بين الطلاب بعضهم مع بعض من خلال الشجار والمشاحنات والتعدي على الآخرين بالشتم أو الضرب، ومن قبل بعض المعلمين الذين يقومون بضرب التلاميذ وبشكل وحشي في بعض الأحيان.

ومظاهر العنف نجدها في التعامل مع الفئات المستضعفة العاملة في القطاعات الخدمية كالمجمعات التجارية، بل وصل الأمر إلى الاعتداء على الطواقم الطبية!

ومن مظاهر العنف التي تزايدت في الآونة الأخيرة العنف ضد الأقليات باستهدافهم والتضييق عليهم وتهجيرهم من بيوتهم.

وهذه المظاهر مجتمعة تدلل على اتساع مساحة العنف على حساب قيم الرحمة والمحبة والتعاون. والأحداث الحالية والمؤشرات العامة تدل على أن ظاهرة العنف آخذة في التنامي والاتساع في ظل عدم وجود رغبة وتوجه عام يسعى

نحو تحقيق السلام في العالم ويؤكد على ضرورة التراحم بين البشر من أجل حياة أفضل للجميع.

## أسباب انتشار العنف

الأسباب التي أدت إلى انتشار مظاهر العنف وتناميها في المجتمع كثيرة، منها التنشئة الخاطئة للأطفال، وغياب التربية الوجدانية، وعدم إشباع حاجات الأطفال الأساسية وتعرضهم للحرمان، خصوصا الحرمان العاطفي، وتربيتهم على القسوة والعدوانية لمواجهة المجتمع الذي يرون فيه انتهاكا لحقوق الضعفاء، ومنها وسائل الإعلام التي لها دور كبير وخطير في نشر العنف في المجتمعات من خلال عرض مشاهد العنف، سواء كان داخل الأسرة أو خارجها، وإظهار من يمارسون العنف على أنهم أبطال، وأخيرا ظهرت الألعاب الإلكترونية لتسهم في إذكاء النزعة العدوانية لدى الأطفال، ولذلك يحذر خبراء التربية من خطر الألعاب الإلكترونية على الأولاد، خصوصا الألعاب القتالية العنيفة، ومن أسباب انتشار حوادث العنف في المدارس الإدمان على مثل هذه الألعاب التي تبرمج مخ الطفل على القتل والاعتداء على الآخرين.

وتعد رغبة الدول الكبرى وسعيها للهيمنة والسيطرة وإخضاع الآخرين من الأسباب الرئيسية لتنامي العنف في عالمنا المعاصر.

وتنامي العنف، خصوصا تجاه المسلمين في الغرب، يحدث نتيجة شيطنة الآخر واتهام الإسلام ووصمه بالعنف، والعداء للإسلام، والصورة النمطية التي رسختها وسائل الإعلام والأفلام السينمائية وكتابات المستشرقين في أذهان الغربيين عن الإسلام وعن العرب والمسلمين، تقف وراء الاعتداءات المتزايدة التي يتعرض لها العرب والمسلمون في الغرب.

## العنف عند المسلمين وعند غيرهم

القيم الإسلامية تدعو جميعها إلى التراحم والتعاون، ونبي الإسلام جاء رحمة للجميع، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ومن المفارقات في عالمنا اليوم اتهام العرب والمسلمين بالعنف، في حين أن المجتمعات العربية والمسلمة تعد أقل عنفا مقارنة بالمجتمعات الغربية.

والإحصائيات حول العنف تؤكد أن العنف والإرهاب بضاعة وصناعة غربية خالصة، فالغرب منذ مئات السنين وحتى الآن هو الذي يقتل الأبرياء ويهلك الحرث والنسل، وجرائم الغرب لم تتوقف منذ قرون من الزمان، ويكفي للتدليل على ذلك إبادة الملايين من الهنود الحمر، وضحايا حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، وضحايا حرب فيتنام، وضحايا الحربين الغربيتين الأولى والثانية، وجرائم الغربيين في الجزائر وليبيا والمغرب، ومجزرتي هيروشيما وناجازاكي، وضحايا حرب البوسنة والهرسك، وضحايا الحرب في أفغانستان، وضحايا الحرب في العراق، وضحايا الحرب في سورية وغيرها.

## سبل المواجهة

إن انتشار العنف في أنحاء كثيرة من العالم بحاجة إلى وقفة جادة من أجل مراجعة أسبابه وإيجاد الحلول المناسبة للقضاء عليها، والبشرية اليوم بحاجة إلى دعاة الرحمة والسلام لكي يخلصوها من الآثار المدمرة للعنف.

ومواجهة العنف المستشري في العديد من المجتمعات بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود الفردية والجماعية التي تهدف إلى بناء مجتمعات يسودها الود والتراحم، ومن الوسائل التي نواجه بها العنف:

**أولا:** التربية على التراحم والتسامح، والتركيز على التربية الوجدانية التي تسهم في بناء شخصية متوازنة تتحكم في مشاعرها وانفعالاتها ولا تلجأ إلى العنف عند التعامل مع الآخرين.

**ثانيا:** نبذ العنف ووقف الظلم على المستوى الدولي، فمئات الآلاف من البشر اليوم يتعرضون لظلم بين ولا يجدون من ينصرهم، سواء من الإخوة في الدين أو من قبل المؤسسات الدولية.

**ثالثا:** نصرة المظلومين، وذلك من خلال قيام الكيانات الفاعلة على المستوى الدولي بدورها في توفير الحماية للمظلومين والمضطهدين، خصوصا العزل من الأطفال والنساء وكبار السن.

**رابعا:** تجفيف منابع العنف، بالقضاء على الأسباب المؤدية إليه، ومنها الجوع والحرمان اللذان يعاني منهما ملايين البشر، والاضطهاد الديني الذي يعاني منه الكثيرون، خصوصا المسلمين.

والأوضاع الحالية التي يعيشها العالم وتمر بها المنطقة العربية تنذر بتنامي ظاهرة العنف، وهذه الظاهرة لها آثارها السلبية على جميع مناحي الحياة، والجميع مطالبون ببذل الجهد والعمل معا للقضاء على مظاهر العنف في المجتمع من أجل توفير حياة أفضل ينعم فيها الجميع بالسلام والرخاء.